الباب الأول

دراسة تمهيدية في علم المخابرات

الفصل الأول

تعاريف وأنواع وأنشطة المخابرات

- مفهوم المخابرات
- حرب المعلومات
- دورة المخابرات
- مصادر المعلومات

الفصل الثانى

استخدام الفضاء فى الحصول على المعلومات

- مقدمة
- أنواع الأقمار الصناعية

الفصل الثالث

المخابرات المضادة

- مقدمة
- الأمن
- مقاومة الجاسوسية
- مكافحة الأنشطة الهدامة

الفصل الأول

تعاريف وأنواع وأنشطة المخابرات

مفهوم المخابرات

حظيت كلمة المخابرات بالكثير من التعريفات والتفسيرات المختلفة، والتى تناولتها كمعنى ومفهوم، حتى أن الكلمة ذاتها استخدمت استخدامًا مزدوجا فهى قد تعنى أنشطة أجهزة المخابرات ذاتها، أو تعنى حصيلة المعلومات التى تنتجها تلك الأنشطة، ونحن نرى فى البداية ضرورة التعرف على الآراء التى أثيرت حول مفهوم هذه الكلمة السحرية.

فنبدأ باللغة العربية، ففى المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - نجد المعانى التالية:

الخبر : ما ينقل به ويُتحدث عنه قولاً وكتابة.

مخابر: من يتجسس الأخبار لصالح دولته.

خابره: بادله الأخبار.

استخبرهُ : ساله عن الخبر وطلب أن يخبره به.

هكذا نجد أن المعانى تدور حول فكرة البحث عن الأخبار لصالح الدولة، ونقلها لمن يسأل عنها ويستفيد بها لتحقيق مصالحه.

وفى اللغة الإنجليزية فإن الكلمة intelligence تعنى لغويًا «تفكير بارع، ذكاء، إدراك تبادل معلومات، اتصال، معلومات متعلقة بعدو محتمل أو بمنطقة ما. intelligencer: المخبر، تأمل الخبر، صحيفة».

وهذا يعنى أن فكرة الكلمة فى اللغتين العربية والإنجليزية تدور على نفس المعنى مضافًا إليها فى اللغة الإنجليزية صفات التفكير البارع والذكاء وحسن الإدراك.

وحينما نتطرق للمعنى الأكثر اتساعًا فى مجال المخابرات، نجد أن الموسوعة الأمريكية توضح مفهوم المخابرات كالآتى : The Encyclopedia Americana

المعلومات المقيمة

أى المعلومات التى تم تحديد درجة الوثوق فيها والمتعلقة بالإمكانيات والنوايا للحكومات الأجنبية، أو أى عملية معالجة معلومات عن مجموعة أفراد تقوم بها مجموعة أخرى، ولكن هذا اللفظ يستخدم بواسطة صناع القرار على أنه عملية معالجة المعلومات اللازمة لتقرير سياسة الدولة الدفاعية.

وقد تعرضت الموسوعة البريطانية الجديدة أيضا : The New Encyclopedia Britannica لمفهوم المخابرات وأوضحته كالآتى:

«المخابرات تعنى بصورة أساسية المعلومات المقيمة والتى تشير إلى أنشطة واسعة ومتعددة للحكومة، والمرتبطة بالأمن القومى والسياسة الخارجية، ورجال الدولة يبدءون وينتهون بقراءة تقارير المخابرات. وعدم دقة المعلومات أو نقصها، لا يؤدى للقرار الخاطئ فحسب بل قد يؤدى إلى كارثة».

ويتضح باستعراض هذين الرأيين فى مفهوم كلمة المخابرات أنه ظهرت بعض الأفكار عن أنشطة واسعة ومتعددة، تفتح الباب لاتساع أكبر، وحتى تأتى الصورة أكثر وضوحًا نتعرض أيضا لوجهات النظر العلمية الأمريكية والبريطانية والمأخوذ بهما تقريبا فى كل أجهزة المخابرات العالمية.

أولاً: وجهة النظر الأمريكية:

إن المخابرات هى جهود الحكومة أو جماعة خاصة أو حتى مؤسسة مدنية أو ما شابه ذلك لتحقيق الآتى:

(أ) جمع وتحليل وتوزيع الاستفادة من المعلومات المؤثرة على مصالحها الخاصة والمرتبطة بأى معلومات أخرى.

(ب) اتخاذ إجراءات الحماية من أعمال مشابهة يقوم بها الخصوم سواء كانوا حكومات أم أفرادًا أم هيئات.

(جـ) تنفيذ أنشطة سرية لمعرفة نشاط الخصوم وسلوكهم أو للتاثير على سياستهم.

ثانيًا : وجهة النظر البريطانية:

إن المخابرات تشكل مظلة واسعة للأنشطة المختلفة والمهارات الآتية:

(أ) توفير مطالب الحكومة من المعلومات بالطرق التالية: الوسائل العلنية، والوسائل السرية، والوسائل الفنية والإلكترونية.

(ب) تقييم وتحليل المعلومات التى يتم الحصول عليها.

(جـ) تنفيذ الأعمال السرية والمغطاة لتحقيق أهداف الحكومة.

وبتناول الآراء المختلفة عن مفهوم المخابرات من أوجه متعددة يمكننا إجمال مفهوم أو تعريف المخابرات بالآتى:

أعمال المخابرات هى مجموعة من العمليات المركبة والمتشابكة والمتكاملة والموقوتة وذات الطبيعة السرية والتى تهدف فى مجموعها إلى تحقيق الآتى:

(أ) الحصول على المعلومات الضرورية والدقيقة اللازمة لصناع القرار على اختلاف مستوياتهم، حتى تأتى قراراتهم سليمة وفى الوقت المناسب لتحقيق الأهداف المطلوبة سواء أكانت سياسية أم عسكرية أم اقتصادية أم اجتماعية.

(ب) الحفاظ على المعلومات السرية، والمنشآت ذات الطبيعة الحساسة للدولة من اختراقها بواسطة الخصوم، ومقاومة الأنشطة الهدامة التى تهدف إلى الإضرار بامن وسلامة الدولة.

(جـ) إنذار الأجهزة المختصة بأى أخطار متوقعة يكون لها تأثير ضار وفى الوقت المناسب، لاتخاذ إجراءات تفاديها أو التقليل من نتائجها السلبية. أى ما يسمى (بالإنذار المبكر) وهو الشغل الشاغل لكل أجهزة المخابرات العالمية، **وتقع على المخابرات مهمة الإنذار المبكر بالأخطار وبكافة أنواعها:** السياسية والعسكرية والاقتصادية والكوارث الطبيعية و الأعمال الإرهابية وأى أنشطة أخرى تستهدف الإضرار بالأمن القومى للدولة.

ولهذه المهمة الأسبقية الأولى والتفوق على ما عداها من مهام لأنها فى النهاية سوف تمنع (حدوث المفاجأة) للدولة، وبالتالى من التوابع المعروفة للمفاجأة (الصدمة / الشلل الفكرى / الإرباك.. وهكذا).

ومهمة الإنذار مهمة رئيسية لكل أجهزة المخابرات فى العالم نظرا لما تمثله من خطورة كبيرة على الدولة فى حالة فشل أجهزة المخابرات فى إنذار الدولة بقرب خطر وشيك يهدد سلامة أمنها القومى والأمثلة التاريخية عديدة نذكر منها **فشل المخابرات الإسرائيلية فى التنبؤ باستعدادات القوات المسلحة المصرية والسورية فى أكتوبر ١٩٧٣ للهجوم على القوات الإسرائيلية فى الجبهتين، والوقوع فى المفاجأة بشكل كامل لدرجة أن الجنرال الياهو زعيرا رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية آنذاك كان قد دعا لعقد مؤتمر صحفى الساعة الواحدة والنصف يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لشرح تطورات الموقف**

العسكرى للصحفيين. حيث دخل إليه أحد مساعديه بورقة مكتوبة قدمها إليه أمام الصحفيين تشير إلى أن المصريين والسوريين قد بدءوا الحرب.

فإذا كان رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية شخصيًا يدعو لمؤتمر صحفى قبل الحرب بثلاثين دقيقة، ولا يقطع حديثه غير طلقات المدافع. فماذا يعنى ذلك؟

وفيما يختص بالفرق بين أجهزة المخابرات بين الطرفين باختصار: ذلك النجاح الساحق لخطط الخداع المصرية السورية والفشل الذريع للمخابرات الإسرائيلية باجهزتها المتعددة وبمساعدات أجهزة المخابرات للدول الصديقة لإسرائيل.

أنواع المخابرات :

بعد تناولنا لمفهوم المخابرات، يلزم توضيح أنواع المخابرات وهل تعمل فى المجال السياسى أو العسكرى فقط أو أن هناك أسبقيات لتلك الأنواع؟ والإجابة أن المخابرات تعمل فى جميع المجالات دون استثناء، فالنشاط اليومى للبشر مملوء ومتنوع بكل الأشكال والألوان، كما أن المعلومات عن تلك الأنشطة والتخصصات المختلفة تكمل وتؤكد بعضها البعض، مع ملاحظة هامة هى أن أعمال وأنشطة المخابرات فى مجال الحصول على المعلومات واستخدامها هو عمل من صميم الأعمال الاستراتيجية فى كافة المنشآت الاقتصادية والصناعية الكبرى فى العالم، أى لا يقتصر نشاط المخابرات على الأجهزة المعنية فى الدولة فقط، بل تتعداها لتشمل قطاعات عريضة من الشركات والمؤسسات والهيئات التى تحتاج للمعلومات الدقيقة بشكل دائم لتطوير ودعم قراراتها المستقبلية وفى نفس الوقت الحفاظ على أسرارها والحرص عليها خاصة من صراع التنافس العالمى فى المجالات الاقتصادية والصناعية وغيره للاحتفاظ بالأسواق وهكذا..

وعلى ذلك فإن المخابرات تنقسم طبقًا لنوع النشاط الذى تعمل فيه إلى التقسيم النوعى الآتى:

- **مخابرات سياسية**
- **مخابرات اقتصادية**
- **مخابرات اجتماعية**
- **مخابرات علمية وفنية**
- **مخابرات جغرافية ومناخية**
- **مخابرات عسكرية**

١ - المخابرات السياسية :

وهى عبارة عن أنشطة جمع وتحليل وتقييم المعلومات السياسية، والتى تتناول الموضوعات التالية على سبيل المثال:

(أ) النظم السياسية للدول، وأهدافها ومبادئها والقوانين والتشريعات التى تعمل بها وبرامج عملها.

(ب) الجماعات السياسية المتواجدة فى المجتمع واتجاهاتها، ومدى الاستقرار السياسى واتجاهات الرأى العام.

(جـ) مستوى الأمن الداخلى للدولة، وقدراته على استتباب الأمن العام للمواطنين وممتلكاتهم، وتامين كافة الأنشطة اليومية.

٢ - المخابرات الاقتصادية :

هى أنشطة جمع وتحليل وتقييم المعلومات الاقتصادية عن الدولة والتى تتناول الموضوعات التالية على سبيل المثال:

(أ) مجال التجارة: برامج التطوير فى الشركات التجارية والصناعية، وخطط التنمية ومعدلات النمو فى الاقتصاد القومى.

(ب) فى باقى المجالات، الزراعة، والقوى العمالية، ومجال المصادر الطبيعية (المعادن / البترول)، مجال النقل والمواصلات، مجال الاتصالات، وكل ما يحمل مؤشرات إيجابية أو سلبية فى الاقتصاد القومى لأى دولة.

٣ - المخابرات الاجتماعية :

هى أنشطة جمع وتحليل وتقييم المعلومات الاجتماعية التى تتناول الموضوعات التالية:

(أ) التنظيم الاجتماعى للدولة ، خصائص الشعب، العادات والتقاليد، أنماط السلوك والمشاكل الاجتماعية.

(ب) القواعد الحضارية: التعليم، الإعلام، اتجاهات الرأى العام.

(جـ) التعداد والقوى العاملة.

٤ - المخابرات الجغرافية والمناخية :

هى أنشطة جمع وتحليل وتقييم المعلومات الجغرافيةوالمناخية والتى تتناول العديد من الموضوعات فى هذا المجال الواسع، وقد خصصت الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال - ضمن أجهزة مخابراتها - جهازا متخصصا لهذا النوع من المخابرات ويسمى: «وكالة التصوير والخرائط القومية» وسيرد ذكره تفصيلا .

٥ - المخابرات العلمية والفنية :

هى أنشطة جمع وتحليل وتقييم المعلومات العلمية والفنية والتكنولوجية، والتى تتناول مدى التقدم العلمى والتكنولوجى للدولة، ومستوى تقدم مراكز البحث العلمى والجامعات فى كل مجالات العلوم والتكنولوجيا والفضاء وتطبيقاتها المختلفة.

ويعد هذا المجال من أهم مجالات أنشطة المخابرات العالمية مع إعطاء تركيز خاص على التقدم فى مجال الطاقة النووية وتطوير برامج الأبحاث فى هذا المجال للتعرف على القدرات النووية ومدى السعى لدى الدول للحصول عليها، وكيفية نقل التكنولوجيا فى هذا المجال، مما يمكن من اتخاذ القرارات السياسية لمجابهة ذلك، على سبيل المثال متابعة ما يحدث فى كوريا الشمالية والصين ومدى ما تحقق فى مجالات القدرات النووية.

٦ - المخابرات العسكرية :

هى أنشطة جمع وتحليل وتقييم المعلومات المتعلقة بالإمكانيات العسكرية وأنشطتها وبرامج تطويرها، ونمو قدرتها وتأثير ذلك على التوازن العسكرى فى مناطق متعددة من العالم.

ونظرا للأهمية القصوى للمخابرات العسكرية فقد تخصص لها أجهزة كاملة منفصلة. فعلى سبيل المثال فى الولايات المتحدة الأمريكية يوجد أجهزة مخابرات متخصصة فى الشئون العسكرية. (وسيرد ذكرها).

ويلاحظ أن المقصود من إيضاح هذا التقسيم النوعى هو التعرف على أمثلة من المجالات التخصصية لأجهزة المخابرات، وهذا لا يعنى أن كل تخصص من الضرورى أن يكون له جهاز مخابرات متخصص مثل الولايات المتحدة الأمريكية، فهذا يتوقف أساسا

على توجهات الدولة وقدراتها وأهدافها، وبطبيعة الحال فإن لكل دولة مجال عمل محدد، وقدرات محدودة، وبالتالى يكون حجم وتنظيم أجهزة المخابرات فى كل دولة بما يتناسب مع إمكانياتها وتطلعاتها والعداوات المحتملة لها وهكذا.

هذا بالإضافة إلى أن التعامل مع المعلومات فى دولة ما يجب أن يتصف بالشمولية، بمعنى المعرفة الدقيقة لكل تخصص ولأدق التفاصيل والتى قد تكون أو تبدو غير ذات أهمية ومنفصلة عن باقى التخصصات، فلا أحد يعلم مدى أهميتها بل وخطورتها غير المتخصص حينما يعيد قراءاتها ضمن خضم هائل من المعلومات المتكاملة عن موضوع واحد.

حرب المعلومات

تلعب أجهزة المخابرات دورًا حاسمًا فى حرب المعلومات وهو ميدان نشاطها الرئيسى فماذا تعنى حرب المعلومات؟

لقد تعددت المفاهيم حول معنى حرب المعلومات إلا أنها تدور حول فكرة أساسية محورها الهجوم على العقل البشرى، خصوصًا العقول التى تمتلك سلطة اتخاذ قرارات الحرب والسلام وإتباع الاستراتيجية التى تستهدف هزيمة العدو قبل أن ينشر قواته أو حتى قبل أن تطلق الطلقة الأولى مما يعنى الاتجاه لاستخدام العقل أكثر من السلاح.

ويعد أفضل تعريف لحرب المعلومات: بأنها استخدام المعلومات لتحقيق الأهداف القومية للدولة بالوسائل الدبلوماسية أو الاقتصادية أو العسكرية وبمفهوم جديد ومختلف، فالمعلومات ذاتها تعد مفتاح القوة القومية للدولة أو بتعبير آخر فهى المورد القومى الحيوى والذى يدعم الدبلوماسية والمنافسة الاقتصادية والاستخدام المؤثر للقوات المسلحة.

اختراق نظم الحواسب

وتعد نظم الحواسب هى ميدان القتال الجديد (معركة العقول) وشكلا جديدًا من أشكال حرب المعلومات ذات الأبعاد المتعددة حينما تستهدف تلك النظم للهجوم عليها بطرق مختلفة مثل الآتى:

١ - قنبلة المنطق : (Logic Bomb) :

وهى برمجيات خاصة مصممة لدفع فيروسات فى توقيتات محددة مكلفة بتنفيذ أعمال هجومية مختلفة داخل نظم الحواسب.

٢ - آلة نانو : (Nano Machines) :

وهى عبارة عن ميكروروبوت (Micro Robots) تقوم بتدمير المعدات الإلكترونية (Hard Ware).

٣ - حصان طرواده : (Trojan Horse) :

وهى برامج سرية مختفية داخل البرامج العادية، وتعمل بتعليمات تصدر من مصممها فى التوقيت المحدد لتقوم بتغيير معالم البرامج الأصلية إلى برامج أخرى تخدم فكر مصممها، وهى تعد بالغة الخطورة على نظم الأسلحة.

٤ - الدودة : (The Worm) :

وهى برامج تقوم بالانتشار داخل الشبكات، وتقوم بإلغاء برامجها أو تعديلها كما تقوم أيضا بإعاقة شبكات الحواسب، ونظم اتصالها.

٥ - الفيروس : (Virus) :

هى برامج (Soft Ware) تنتشر خلال الشبكات وقواعد البيانات وهى تقوم إما بتدمير المعلومات أو تعديلها.

قال صن تزو (الفيلسوف الصينى) فى كتابه فن الحرب [١] :

«إذا عرفت قوتك وقوة عدوك فلا تخف أن تخوض مائة معركة، وإذا عرفت نفسك ولم تعرف عدوك، فمع كل نصر تحصل عليه سوف تقاسى أيضا من الهزيمة.

فاما إذ لم تعرف نفسك ولا عدوك فتدميرك محقق فى كل معركة.

---

(١) SUN TZU on the ART OF WAR. (Lionel Giles, Trans) May, 1994.

تزييف المعلومات (Disinformation)[1]:

ويعنى تسرب معلومات زائفة بشكل متعمد بطرق متعددة لجهة ما، بغرض خداعها وتضليلها.

و يتضح لنا أن اتخاذ القرار يعتمد بصورة مطلقة على المعلومات المتوفرة حول الموضوع الجارى بحثه والجارى اتخاذ القرار بشأنه، ويتوقف صحة القرار على صحة ودقة تلك المعلومات وكلما كانت المعلومات صحيحة ومؤكدة كان القرار سليمًا.

ومن هنا تنبع أهمية أجهزة المخابرات متنوعة التخصصات أمام صانع القرار، فكلما كانت تلك الأجهزة منتجة لمعلومات صحيحة وفى الوقت المناسب (حيث لا فائدة من أى معلومات تأتى بعد فوات آوان استخدامها) كانت القرارات سليمة وصحيحة، ويمكن تحقيق أهداف الدولة بأقل تكلفة وتجنب الكثير من الأزمات.

ونظرًا للتقدم التكنولوجى الهائل، وتوفر حجم ضخم للغاية من المعلومات على شبكات الانترنت بمواقعها المعلومة أو المجهولة، والإمكانيات الفائقة للتلاعب باللقطات المرئية / الصور / البيانات وإدخالها إلكترونيا لإنتاج الكثير من الصور المغلوطة والمقنعة فى نفس الوقت (Disinformation) فإن ذلك يضيف تحديا جديدًا أمام أجهزة المخابرات إذ عليها يقع كشف تلك الخدع وبيان الأهداف التى تسعى لتحقيقها.

والمثال الواضح عن (المعلومات المغلوطة) «**هو محتويات شريط الفيديو الذى بثته قناة الجزيرة القطرية فى إبريل ٢٠٠٢ لأحد الأشخاص على أنه أحد مرتكبى حادث ١١ سبتمبر، ماخوذة من صورة متطابقة له صدرت ضمن قائمة المشتبه فيهم وفقا لزعم المخابرات الأمريكية ووزعتها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١. وقد تم إخراجها بتقنية عالية**

---

(١) يعتبر لفظ (Disinformation) غير شائع من الناحية اللغوية، ويستخدم فى الأصل لفظ (Misinformation) ويعنى معلومات خاطئة، وقد استحدثت الموسوعة السوفيتية الكبرى لفظ (Disinfonnation) وعرفته بأنه يعنى معلومات كاذبة تنشر فى وسائل الإعلام بغرض خداع وتضليل الرأى العام، أنظر: Ladislav Bittman, The KGB and Soviet Disinformation (An Insider's view), Pergamon – Brassey's, 1985 p 49.

بفكرة الربط بين المقاومة الفلسطينية المشروعة وأعمال الإرهاب، وذلك بإظهار الشخص مرتديًا الكوفية الفلسطينية وربطها بصورة الضربة للأبراج بنيويورك، ووضع عنوان إنه أحد مرتكبى أحداث ١١ سبتمبر ثم تبدأ المرحلة الثانية باستغلال البث الأول بواسطة الأجهزة الإعلامية الأخرى لإعادة بثه مرة أخرى، مزودة بما يرونة من آراء مطلوب ترويجها فى أوساط الرأى العام الأمريكى على وجه الخصوص والرأى العام العربى بعد ذلك لإقناعه بان ما تقوم به إسرائيل فى الأراضى المحتلة جزء من الحملة العالمية ضد الإرهاب العالمى التى تقودها الولايات المتحدة.

دورة المخابرات
(The Intelligence Cycle)

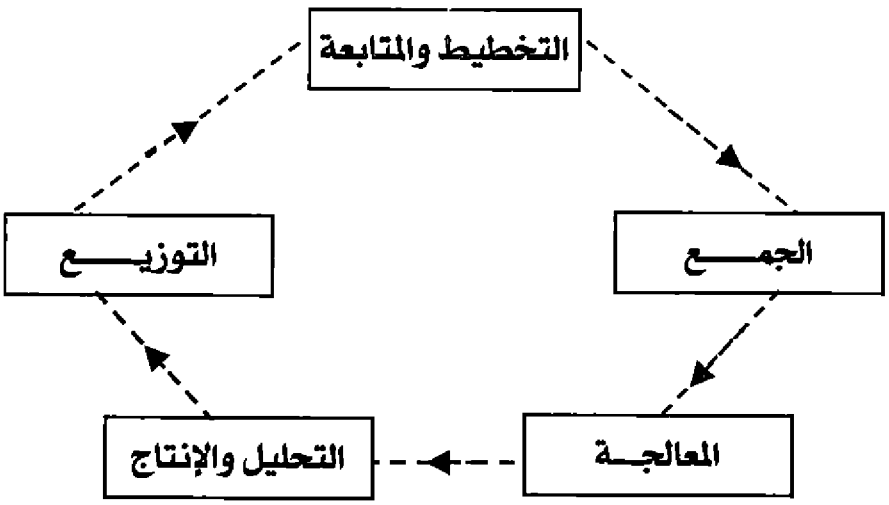

١ - التخطيط والتوجيه	Planning and Direction
٢ - الجمع	Collection
٣ - المعالجة	Processing
٤ - التحليل والإنتاج	All Source Analysis & Production
٥ - التوزيع	Dissemination

(شكل رقم ١)

دورة المخابرات
(The Intelligence Cycle)

دورة المخابرات هى نظرية العمل الأساسية تقريبًا فى كل أجهزة المخابرات العالمية فيما يخص الإنتاج النهائى وكيفية الوصول إليه بشكل علمى ودقيق، وقد اتفق على أنها فى شكل دائرة لا تتوقف منذ لحظة بدء المهمة بطلب معلومة معينة إلى التخطيط للحصول عليها، وتسير العملية حتى الحصول عليها والتعامل معها إلى أن تصل فى النهاية إلى يد (صانع القرار) والذى بدوره يطلب غيرها وهكذا وطبقًا للخطوات التالية:

١ - التخطيط والتوجيه: (Planning and Direction) (شكل رقم ١)

وفى هذه المرحلة يتم إدارة كل الأنشطة والجهود، منذ التعرف على الاحتياج إلى المعلومات والبيانات المطلوبة لصانع القرار، فهى تبدأ وتنتهى داخل دورة، تبدأ من التخطيط لجمع المعلومات، وتنتهى بتسليم المعلومات لدعم القرارات، وبالتالى تخلق مطالب معلومات جديدة لتبدأ الدورة من جديد.

٢ - الجمع: Collection

هى مرحلة جمع المعلومات الخام لإنتاج تقديرات مخابرات نهائية، بما فى ذلك الحصول على المعلومات من المصادر العلنية، والمصادر السرية والفنية والتكنولوجية والعملاء، وصور الأقمار الصناعية.

٣ - المعالجة: Processing

وفى تلك المرحلة يتم معالجة المعلومات الخام.

وبداية ماذا تعنى كلمة المعلومات الخام؟

المعلومات الخام: هى التى تم جمعها كما هى أو كما حدثت ولكن تظل بدون مدلولات محددة، ومطلوب قراءتها وفهمها بجانب معلومات أخرى مرتبطة بها - مثال توضيحى مبسط: إذا تحصلنا على معلومة تقول إن شخصًا مًا قد خرج من منزله الساعة

الثامنة صباحًا يوم ٤/١٥ وغاب عن منزله لمدة يومين أى أنه عاد الساعة التاسعة مساء يوم ٤/١٧. باعتبار أن هذا الشخص هدف لأنشطة المخابرات.

فهذه تعد معلومات خامًا أى أنه ليس لها مدلولات محددة، وتحتاج إلى معالجة يمكن فهمها ومعرفة أمور كثيرة طبقًا لما يجب معرفته بدقة، عن هذا الهدف.

ففى هذه الحالة يلزم توفر معلومات إضافية أخرى، قد تكون موجودة فى الملفات أو من مصادر مختلفة حتى يمكن معرفة مثلاً أين كان ؟ وماذا كان يفعل؟ ومن كان معه؟ وهكذا سلسلة طويلة من التساؤلات يتم استكمالها وتصنيفها وإعدادها بشكل معين، ثم تأتى المرحلة التالية فى دورة المخابرات، لتحليلها ومعرفة مدلولاتها المحددة طبقًا للهدف.

٤ - التحليل والإنتاج All Sources Analysis and Production

وفى هذه المرحلة يتم تحويل المعلومات الخام بعد المعالجة فى المرحلة السابقة لتحويلها إلى (مخابرات نهائية) أى إلى معلومات محددة ومقيمة ومفهومة، وبالنظر للمثال السابق سوف يعكف فريق من الخبراء والمتخصصين لعمل دراسات وتحليلات مع الاستعانة بالتقنيات العالية للحاسبات الإلكترونية، ثم دراسة باقى المعلومات من باقى المصادر الأخرى (الفنية / صور / الخ)، ليمكن فى النهاية الوصول إلى صورة كاملة ودقيقة وصحيحة عن الهدف والإجابة على كل التساؤلات.

ثم تنتهى هذه المرحلة بإصدار الإنتاج النهائى (التقديرات) والتى تحمل تقديرًا للموقف وتنبؤات عن تطورها فى المستقبل، وتصدر فى شكل تقارير متنوعة طبقًا لما هو مطلوب: (موجز عاجل - ملخص كامل - تقرير تفصيلى.. وهكذا).

٥ - التوزيع : Dissemination

وهى المرحلة الأخيرة فى دورة المخابرات حيث يسلم الإنتاج النهائى من المرحلة السابقة لمن يهمه الأمر وبشكل موقوت ليمكن اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب للتعامل مع الموقف الصادر بشأنه التقديرات..

وبطبيعة الحال يتم تحديد معلومات جديدة ومهمة جديدة لأجهزة المخابرات ناتجة عن القرارات السابقة لكى تبدأ دورة المخابرات من جديد، أى إن المرحلة الأخيرة تغذى بشكل غير مباشر المرحلة الأولى من دورة المخابرات فى دوران لا ينتهى.

مصادر المعلومات

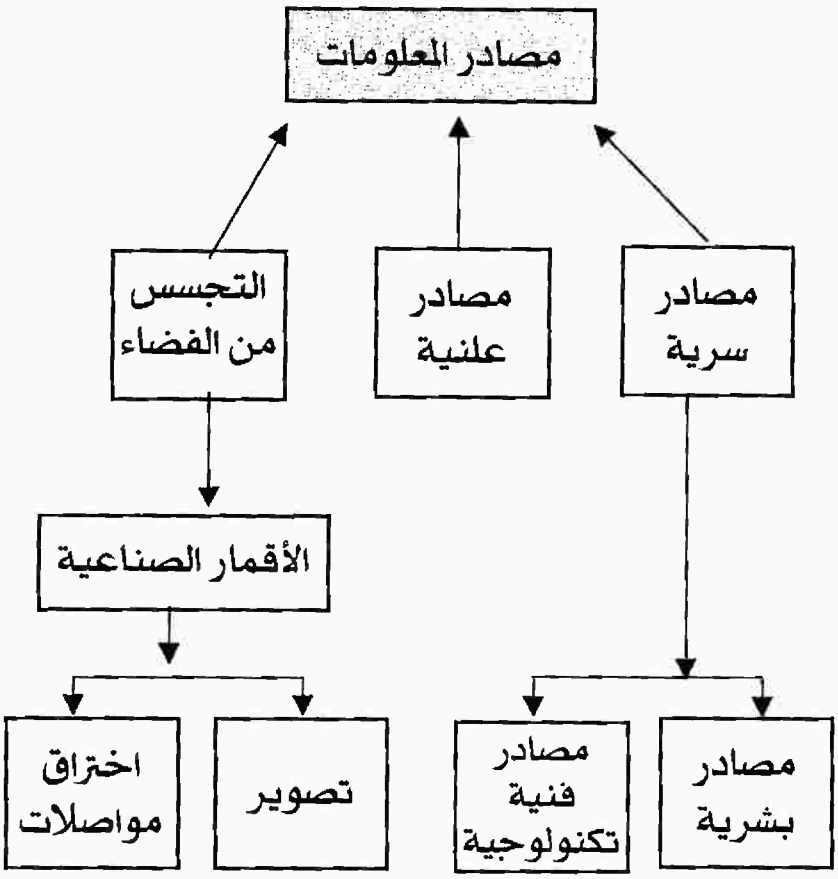

(شكل رقم ٢)

مصادر المعلومات

توجد مصادر عديدة ومتنوعة للحصول على المعلومات المطلوبة عن موضوع معين، كما أنه من الصعب أن يكون هناك مصدر واحد لكل المعلومات المطلوبة عن موضوع معين وبشكل كامل ودقيق يمكن الوثوق به بدرجة تاكيد عالية، لذا فإن تنويع المصادر طبقا لأهمية وخطورة الموضوع وتكامله وتحديد درجة الوثوق به يعد أمرًا بالغ الأهمية، ويمكن تحديد مصادر المعلومات من الناحية العلمية بالشكل الآتى:

أولا: المصادر العلنية (شكل رقم ٢)

وهى تعنى المصادر المتاحة علنًا وبشكل يومى ودورى وفى كل الأوقات ولا تتطلب أية جهود على الإطلاق فى جمعها، وهى تعتبر المصدر الأساسى للحصول على المعلومات فى كل أجهزة المخابرات العالمية والمؤسسات الصناعية والاقتصادية العالمية وهى تشمل الآتى:

١ - وسائل الإعلام المختلفة (الصحافة / الإذاعة / التليفزيون).

٢ - الكتب والمجلات والقصص.

٣ – المؤتمرات العلمية الدولية.

٤ – الدراسات والأبحاث المنشورة.

٥ – قواعد البيانات الدولية والمحلية.

٦ – صفحات ومواقع الإنترنت، وطلب البيانات الشخصية تحت مسميات متعددة.

٧ – نظم الأقمار الصناعية التجارية ومجالاتها المتنوعة.

٨ – الصور الفوتوغرافية البريئة والتى يلتقطها السائحون فى رحلاتهم.

٩ – النشرات والمطبوعات السياحية.

١٠ – الخطب والتصريحات للمسئولين على اختلاف مستوياتهم.

١١ – برامج ومنح التدريب والزيارات بالجامعات الأجنبية.

١٢ - الدراسات التى تجريها بعض الهيئات الأجنبية والتى تقوم بتمويل مشروعات اقتصادية.

١٣ - الأعمال الفنية (السينما - المسرح -- شرائط الفيديو -الكاسيت الإعلانات وغيرها).

وعلى الرغم مما يبدو من بساطة تلك المصادر، وشيوعها فى كل المجتمعات إلا أنه مع وجود إمكانيات علمية وتقنية متطورة يقف خلفها الخبراء والمتخصصون فى مجالات التحليل، ونظم استرجاع المعلومات، واستكمالها من باقى المصادر، ومع وجود حرية واسعة للرأى والنشر بمختلف الوسائل فى المجتمعات الديمقراطية، فإنه يمكن فى النهاية الحصول من تلك المصادر العلنية على معلومات هامة للغاية وفى نواح متعددة عن أى دولة لا تراعى وسائل إعلامها الحدود الفاصلة بين ما يقال وما لا يقال فى العلن مع عدم التصادم أو التناقض مع الحرية والدستور الذى يكفل الديمقراطية وحرية النشر وعدم دستورية أية قوانين للحجر على النشر. فيصبح الأمر فى النهاية فى يد المواطن الذى يجب أن يعلم بوضوح الحدود الفاصلة بين ما ينشر ومالا ينشر فى المصادر العلنية، وبين ما يقال وما لا يقال علانية.

ويهمنا فى هذه النقطة بالذات أن نستعرض مثالا تاريخيا حدث عام ١٩٣٥ قبيل الحرب العالمية الثانية حين لم تكن هناك تقنيات للمعلومات أنذاك لكى يمكن المقارنة بين هذا التوقيت وما به من إمكانيات وبين ما يتوفر الآن من إمكانيات هائلة فى تكنولوجيا المعلومات.

ففى ١٠ مارس ١٩٣٥ صدر فى المانيا كتاب فى ١٧٢ صفحة عن تشكيلات الجيش الألمانى، لصحفى يدعى (برتولد جاكوب) أورد فيه أسماء ١٦٨ ضابطا ممن يشغلون مناصب قيادية هامة فى الجيش الألمانى، وأورد فيه تفاصيل دقيقة وعديدة عن تشكيلات القوات المسلحة الألمانية، بالإضافة لتواريخ حياة هؤلاء القادة.

وحينما علم هتلر بأمر هذا الكتاب، طلب من المخابرات الألمانية التحقيق مع هذا الصحفى، وكيف تمكن من الحصول على هذا الحجم من المعلومات الصحيحة عن الجيش الألمانى.

وأسفر التحقيق عن أن هذا الصحفى لم يكن جاسوسًا ولا عميلاً لأية جهة، وكل ما فى الأمر أنه جمع هذه المعلومات من الصحف الألمانية ذاتها، وكل أدواته كانت

المقص وزجاجة الصمغ وملفا للفهارس جمع فيه كل القصاصات، وتبويبها وتصنيفها ثم اعاد قراءتها، بعقلية رجل ملم بأساليب جمع وتصنيف المعلومات إلماما جيدا، وهذا ما قام به شخص واحد وليس جهاز مخابرات.

حدث هذا فى عام ١٩٣٥، ولنا أن نتصور ما يمكن أن يحدث اليوم بعد توفر أحجام ضخمة للغاية من المعلومات . ومع وجود إمكانيات متفوقة لأجهزة المخابرات ماذا يمكن أن تكون النتائج ؟.

ثانيا: المصادر السرية

بعد الانتهاء من الاستفادة من المعلومات الشائعة والمجانية الموجودة فى المصادر العلنية تظل هناك معلومات ذات طبيعة خاصة لا يمكن الحصول عليها إلا باستخدام وسائل سرية، وتلك الوسائل عديدة ومتنوعة ومجال الابتكار فيها بلا حدود تقريبا وكل أجهزة المخابرات العالمية تحتفظ باساليبها ومدارسها المتعددة فى هذا الشان، ولكن من الناحية العلمية يمكن تقسيمها كالآتى:

١ - المصادر البشرية: Human Intelligence

وهى تعنى أن البشر هم مصدر المعلومات وهم نوعان:

(أ) النوع الأول ، أشخاص حسنو النية

أى أشخاص يتحدثون فى أمور أعمالهم أو يذيعون أخبارا معينة حصلوا عليها من ثرثرة أخرى من بعض من يشغلون مناصب ذات طبيعة حساسة، لإدعاء الأهمية، وذلك خلال الحفلات وجلسات الأندية والاجتماعيات الخاصة.

ويعد هذا النوع هاما جدا لسهولته ولا يحتاج لأى تكنيك لافت للنظر، ويمكننا أن نتصور إن هذه الثرثرة حول موضوع موجود فى المصادر العلنية يمكن أن تقود فى النهاية إلى معلومات هامة وحقيقية كهدية للخصوم.

وتجدر الإشارة هنا إلى ما نشر فى مجلة المصور عدد ١٩٩٠/٣/١٦ لرئيس المخابرات العامة المصرية الأسبق حيث قال «**إن جهل الناس بأساليب عمل المخابرات قد يضعهم بحسن نية شديدة فى مواقف تضر دون قصد بجوهر الأمن القومى المصرى، بل وتقدم للآخرين فرصة ثمينة لاصطيادهم** ».

(ب) النوع الثانى : أشخاص تم تجنيدهم

هم أشخاص تم شراؤهم وتجنيدهم وتكليفهم وقد يكونون من جنسية الدولة الهدف أو من جنسيات أخرى وهذا النوع من البشر يعد هدفًا رئيسيًا لكل أجهزة المخابرات العالمية، والسعى الدائم بكل الوسائل الحديثة فى الإغراءات والضغوط ومنح المزايا.. إلخ لإتمام السيطرة على الشخص (الهدف) وزرعة فى منطقة العمل (أى توفير الغطاء المنطقى المناسب لنشاطه) ليكون مصدرًا للإمداد بالمعلومات، أو لتنفيذ أية تكليفات يراد منه تنفيذها لتحقيق أهداف ما تسعى إليها أجهزة المخابرات فى الدولة الخصم.

٢ - المصادر الفنية:

ويتم فيها استخدام الإمكانيات الفنية والتكنولوجية للحصول على المعلومات بشكل سرى، وقد ساهم التقدم العلمى فى وسائل التنصت من مسافات بعيدة، والتصوير بكاميرات متناهية فى الصغر وعلى مسافات بعيدة أيضًا فى زيادة القدرات لجمع المعلومات بشكل دقيق وسريع، مع ملاحظة أن مجال التطوير فى استحداث معدات جديدة يعد من الأمور السرية للغاية لدى أجهزة المخابرات العالمية.

وحينما نتحدث عن مصادر المعلومات والصراع الدائر بين أجهزة المخابرات نجد أن أحد الصور الهامة هو قيام هذه الأجهزة باستخدام وسائل ذكية للغاية للتمويه عن النوايا ليمكن تحقيق المفاجاة بكل أنواعها سواء أكانت مفاجأة سياسية أم عسكرية أم حتى اقتصادية.

ولا يمكن بأية حال من الأحوال خداع خصم لا تعرف كل شىء عنه، أوخداع خصم يعرف كل شىء عنك، فالنجاح ينعقد أساسًا على السرية والمعلومات المتاحة عن المطلوب خداعه.

ويمكننا عرض أحد الأمثلة التاريخية عن مهارات الخداع والذى قامت به المخابرات البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية نجحت فيه بخداع المخابرات الألمانية أقوى آلة مخابرات عرفها التاريخ فى هذا التوقيت.

فى أوائل مايو ١٩٤٣ وعلى الساحل الجنوبى الغربى لأسبانيا وعند بلدة هولف (Huclva) وجدت جثة ضابط إنجليزى برتبة رائد ويده مربوطة بسلسلة بها حقيبة بالشكل المعتاد لحاملى الحقائب (المراسلات) وفى داخل الحقيبة خطابات وتعليمات مرسلة من هيئة الأركان فى لندن إلى الجنرال الكسندر توتشن خاصة بخطة الحلفاء لغزو جنوب أوروبا عن طريق اليونان، مما دفع المخابرات الألمانية إلى الاعتقاد بصحة

المعلومات وإبلاغها لهتلر فقام بدوره بإعادة خطة الدفاع عن أوروبا وسحب قواته الرئيسية من إيطاليا وإرسالها لليونان، وكانت الخطة الأصلية الهجوم على إيطاليا وليس اليونان.

وتعتبر هذه العملية والمسماة «عملية اللحمة المهروسة» من أفضل عمليات الخداع والتضليل فى التاريخ الحديث للمخابرات. وقد جاءت تفاصيلها فى كتاب كتبه أحد المخططين لتلك العملية وهو أوين مونتاجو (Ewen Montagu) ونشر الكتاب وعنوانه: "The Man Who Never Was" «الرجل الذى لم يكن موجودا أبدا» .

حكاية الرجل الذى لم يكن موجودًا

وتتلخص القصة فى أن المخابرات البريطانية استخدمت جثة رجل مدنى بعد بحث وانتظار طويل لجثة رجل ميت حديثا فى حادث غرق حتى تكون عليه علامات اسفكسيا الغرق، واستخرجوا له بطاقة شخصية باسم الرائد مارتن من الجيش الإنجليزى (شخص ليس له وجود)، وفى جيبه عناوين وأرقام تليفونات لأصدقاء وصديقة له، ومواعيد فى أماكن متعددة.

وحملت الجثة غواصة بريطانية صعدت إلى سطح البحر على مقربة من الساحل الجنوبى الأسبانى، ثم دفع ملاحوها الجثة إلى المدى الذى يمكن التأكد من وصولها للساحل، وقد حدث ذلك فعلاً وكل شىء كان منطقيًا بترتيب طائرة مواصلات صغيرة سقطت فى البحر ويكون الراكب الوحيد حامل الرسائل وقائدها وهكذا تم الفصل الأول على أنها صدفة.

وبعد العثور على الجثة قامت المخابرات الألمانية بإجراءات عديدة ودقيقة للغاية لتحديد درجة الوثوق فى تلك الصدفة، فاستخدمت شبكتها مع إرسال بصماته لضاهاتها فى مسكنه فى لندن مع التقصى عن كافة البيانات التى وجدت معه حتى الصديقة، ومنزله وملابسه ومراجعة العناوين والاتصال بارقام التليفونات التى وجدت فى المفكرة، والاستفسار عن ملف خدمته وبالطبع كان كل شىء موجودًا لهذه الشخصية التى لم توجد أبدا. ثم قاموا بتشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة وتأكد لديهم أن سبب الوفاة هو اسفكسيا الغرق [1].

ويهمنا فى تلك النقطة أن نتائج نجاح خطة الخداع تلك هى التى قلبت الموازين فى أوروبا ووضعت الألمان فى شك دائم من خطط الحلفاء للهجوم فى أوروبا. والفضل فى ذلك أساسًا كان لمعركة الأذكياء والتى حُسمت لصالح الطرف الأكثر ذكاء.

---

(1) The Craft of Intelligence, All ENW Dulles, 1963

الفصل الثانى

استخدام الفضاء فى الحصول على المعلومات

يعد الفضاء الآن محورًا هاما للتقدم الإنسانى فى المستقبل، وقد تطورت علوم الفضاء والتى تشتمل على فروع متعددة ، مثل :

علوم الأرض من الفضاء

١ - وتبحث علوم الأرض مجالات الحصول على معلومات كاملة عن كوكب الأرض من الفضاء حيث لا يمكن الحصول عليها بطرق أخرى، وعمل دراسات متطورة للغاية عن البيئة المعقدة للأرض بما يحقق أفضل الطرق لاستثمارها فى المستقبل.

٢ - تطوير الخبرة الإنسانية فى استخدامات الفضاء للنقل الآمن من الأرض للفضاء والعودة للأفراد والبضائع، وعمل التجارب المتعددة لتحقيق هذا الهدف.

٣ - كيف يمكن للإنسانية أن تحقق الحد الأقصى من الاستفادة من الفضاء فى كافة المجالات، بما يمكن من تطوير شكل الحياة على الأرض تطويرًا كاملاً ؟.

٤ - البحوث والدراسات المتعددة للطاقة الشمسية وتفاعلاتها على الأرض، إلى جانب العديد من الموضوعات والتخصصات العلمية المختلفة.

علوم وتكنولوجيا الفضاء :

كما تحاول علوم وتكنولوجيا الفضاء الإجابة على العديد من التساؤلات حول الكون وما إذا كان سكان الأرض هم وحدهم الذين يعيشون فى هذا الكون، هذا إلى جانب العديد والعديد من التساؤلات حول الفضاء وانعكاسات ذلك على الأرض.

ولتحقيق هذه الأهداف يدور حول الأرض حاليًا وطبقًا لآخر تقرير عن الفضاء Satellite Situation Report الصادر من: Goddard Space Flight Center, Sept 1997.

يوجد حوالى ٨٠٠٠ هدف صناعى تدور حول الأرض منها ٢٥٠٠ قمر صناعى والباقى أشياء متعددة يمكن أن تكون بقايا صواريخ، وعناصر مختلفة، وكل ذلك ينتمى إلى ٣٧ دولة فى العالم تسعى لاستخدام الفضاء وتحقيق الاستفادة منه طبقًا لإمكانياتها وطموحاتها.

الأقمار الصناعية (شكل رقم ٣)

وتعد الأقمار الصناعية الوسيلة الرئيسية للحصول على المعلومات عن الأرض من الفضاء، بالإضافة لإمكانية استخدامها فى مجالات متعددة فى المجالات العسكرية وقد حققت طفرة كبيرة للغاية فى هذا المجال.

كما ساعدت أقمار الاتصالات بانواعها على تطوير نظم الاتصال ونقل المعلومات مما حقق فى النهاية انتقال العالم من عصر الصناعة إلى عصر المعلومات. وإلى جانب العديد من المجالات الأخرى مثل أقمار الإذاعة والتليفزيون والتى يمكنها من التعلق بشكل موقوت مع دوران الأرض فى أماكن معينة شبه ثابتة، لتحقيق نقل الإرسال بشكل مستقر لهوائيات الاستقبال على الأرض، بالإضافة لأقمار الملاحة والبيئة وغيرها كما سيرد تفصيلاً.

أنواع الأقمار الصناعية

١ - أقمار صناعية تستخدم فى المجال العسكرى:

(أ) اقمار الاستطلاع (التجسس)[1] : (شكل رقم ٣)

وهى أهم أنواع الأقمار الصناعية وأخطرها لما تحققه من مزايا عديدة أهمها:

١ - إمكان مسح مناطق كبيرة فى وقت قصير جدا نظرا للسرعة العالية للقمر الصناعى والتى تصل إلى حوالى ٣١,٠٠٠كم/ساعة، وتحويل الصور الملتقطة بشكل فورى للمحطات الأرضية.

٢ - مدة بقاء أقمار الاستطلاع فى المدار تستمر فترة طويلة تستطيع خلالها تنفيذ كافة مهام الاستطلاع ومتابعة الأهداف.

٣ - تنفذ الأقمار الصناعية مهامها خارج مدى الأسلحة الأرضية ولا يمكن إسقاطها بالوسائل التقليدية إذ تتطلب تكنولوجيا معقدة لاعتراض تلك الأقمار وتدميرها.

---

(1) Paul B. Stares, Space and National Security, The Brooking Institution, Washington, D.C. 1987 pp. 15 - 30.

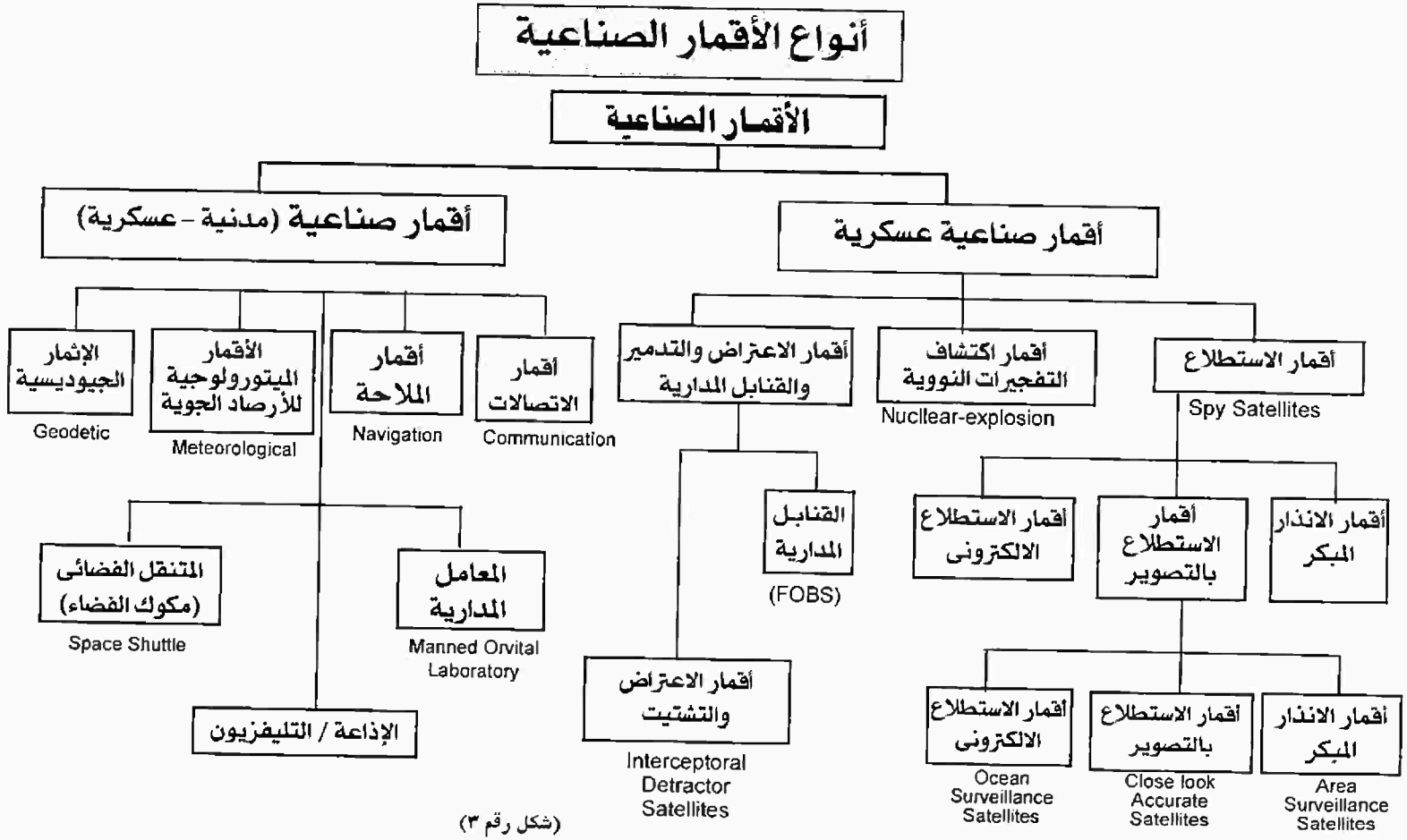
أنواع الأقمار الصناعية
الأقمار الصناعية
أقمار صناعية (مدنية - عسكرية)
أقمار صناعية عسكرية
الإثمار الجيوديسية
Geodetic
الأقمار الميتورولوجية للأرصاد الجوية
Meteorological
أقمار الملاحة
Navigation
أقمار الاتصالات
Communication
أقمار الاعتراض والتدمير والقنابل المدارية
أقمار اكتشاف التفجيرات النووية
Nucllear-explosion
أقمار الاستطلاع
Spy Satellites
المتنقل الفضائى (مكوك الفضاء)
Space Shuttle
المعامل المدارية
Manned Orvital Laboratory
الإذاعة / التليفزيون
القنابل المدارية
(FOBS)
أقمار الاعتراض والتشتيت
Interceptoral Detractor Satellites
أقمار الاستطلاع الالكترونى
أقمار الاستطلاع بالتصوير
أقمار الانذار المبكر
أقمار الاستطلاع الالكترونى
Ocean Surveillance Satellites
أقمار الاستطلاع بالتصوير
Close look Accurate Satellites
أقمار الانذار المبكر
Area Surveillance Satellites

(شكل رقم ٣)

وتوجد عدة أنواع من أقمار الاستطلاع (التجسس) أهمها:

١ - أقمار الاستطلاع بالتصوير:
Photographic Reconnaissance Satellites

يتوقف نوع الأقمار المستخدمة فى مجال الاستطلاع بالتصوير على نوع المهمة حيث إن كل مهمة معينة تحتاج إلى إمكانيات خاصة يجب أن تتوفر فى القمر المنوط به تنفيذها، ولذلك تنقسم هذه الأقمار إلى الأنواع الآتية:

(أ) أقمار التفتيش والبحث عن الأهداف فى منطقة ما
Area Surveillance Satellites

وتقوم هذه الأقمار بمسح منطقة شاسعة لدولة معينة لكشف الأهداف ذات الأهمية الاستراتيجية، ثم تصويرها وإرسال بيانات هذه الصور إلكترونيا وبشكل فورى إلى المحطات الأرضية.

(ب) أقمار الفحص القريب الدقيق Close Look Accurate Satellites

وتكمل هذه الأقمار مهمة أقمار التفتيش حيث تقوم بالفحص الدقيق لتلك الأهداف بناء على تعليمات المحطات الأرضية بعد تحليلها للصور الملتقطة أثناء مرحلة البحث والتفتيش.

(جـ) أقمار التفتيش والفحص فى أعماق المحيطات
Ocean Surveillance Satellites

وهى أقمار متخصصة فى تصوير أعماق البحار لاكتشاف أماكن تمركز الغواصات المزودة بإمكانيات إطلاق صواريخ عابرة للقارات.

٢ - أقمار الاستطلاع الإلكترونى: Electronic Reconnaissance Satellites

تقوم هذه الأقمار بالاستطلاع اللاسلكى والرادارى من الفضاء لتحديد الخصائص الفنية لأجهزة الرادار ومواقعها.

بالإضافة لاعتراض الاتصالات اللاسلكية والتصنت عليها.

٣ – أقمار الإنذار المبكر: Early Warning Satellites

تقوم بتنفيذ مهام الإنذار المبكر عن إطلاق صواريخ عابرة للقارات والإبلاغ عنها قبل وصولها لأهدافها بزمن يتراوح ٢٥ – ٣٠ دقيقة، والتفتيش ومراقبة تجارب الأسلحة النووية فوق سطح الأرض وفى الفضاء، وقد أصبحت أقمار الإنذار المبكر نظاما متكاملا يقوم بمسح مناطق محددة من العالم لاكتشاف أية استعدادات عسكرية برية أو جوية أو بحرية بهدف شن أعمال هجومية.

(ب) أقمار اكتشاف التفجيرات النووية [١]

(جـ) أقمار الاعتراض والتدمير وتشتمل على:

١ – نظام القصف المدارى الجزئى (FOBS).

Fractional Orbital Bombardment Satellites.

٢ – أقمار الاعتراض (الأقمار المضادة للأقمار الصناعية).

٢ – أقمار صناعية تستخدم فى المجال المدنى والعسكرى:

(أ) أقمار الاتصالات. (ب) أقمار الملاحة.

(جـ) الأقمار الجيوديسية. (د) مكوك الفضاء.

(هـ) المعامل المدارية.

نظم الأقمار الصناعية العالمية:

يوجد العديد من النظم العالمية المتكاملة للأقمار الصناعية أهمها:

(أ) نظم الاستطلاع:

وهو المعروف بنظام المراقبة بالأقمار (SAMOS)[٢]: Satellite Missile Observation System

---

(1) Paul b. Stares, op. cit. P. 27.

(2) Arthur Sylvester, "Memorandum for the President, White house, SAMOSII Launch," (Washington. D.C: Office of the Assistant Secretary of Defence for Public Affairs, 1961). Declassified Documents Reference System 1979 – 364 B.

وأكد هذا النظام وجود خطأ فى تقديرات المخابرات الأمريكية فى تحديد إمكانيات الاتحاد السوفييتى فى مجال الصواريخ العابرة للقارات، إذ تم التقدير أكثر مما ينبغى.

(ب) نظم الإنذار المبكر:

توجد عدة نظم للإنذار المبكر مثل:

١ – **نظام الإنذار المبكر** (MDAS):Missile Defence Alarm System

وهو أول نظام للإنذار المبكر فى العالم.

٢ – **نظام الإنذار المبكر** (IMEWS): Integrated Missile Early – Warning

٣ – **نظام الاستطلاع الإلكترونى** (FERRET).

الأقمار التجارية

تدور حاليا حول الأرض العديد من الأقمار الصناعية بأعداد ضخمة والمتعددة المهام مثل الأقمار التجارية وهى (لاندسات) الأمريكى، (سبوت) الفرنسى، (سيوزكات) السوفيتى، وهذه الأقمار تزود الدول باحتياجاتها من الصور والمعلومات سواء كانت متعلقة بالثروة الطبيعية أم بالأوضاع الاقتصادية والعسكرية، وذلك على ألا تتعارض هذه الصور مع مصالح الدول التابعة لها.

وقد حققت هذه الأقمار السياسية العسكرية أرباحا ضخمة، وتسعى اليابان حاليا للدخول كمنافس مع هذه الدول التى ستجعل المعلومات الاستراتيجية والتكتيكية عن مختلف الدول متاحة بصورة تجارية تنافسية، الأمر الذى سيغير الصورة عن مفهوم السرية فى نقل المعلومات، ويسمح بتداولها وتدوينها بطرق مختلفة وإن كان ذلك يخضع لسيطرة الدول المتنافسة ذاتها.

وقد أتاحت تلك الإمكانية الضخمة فى تكنولوجيا الفضاء فى مجال استخدام الفضاء الحصول على كل أنواع المعلومات (العسكرية/الهيئات الأرضية/التغيرات المناخية الاتصالات بكافة أنواعها/نقل الصور وهى توفر معلومات هائلة فى المجال العسكرى والمدنى كالآتى:

المجال العسكرى:

١ - استطلاع الأهداف الأرضية من الفضاء الخارجى.

٢ - اكتشاف إطلاق الصواريخ والإنذار عنها.

٣ - اكتشاف التفجيرات النووية فى الجو وفى الفضاء الخارجى.

٤ - مراقبة مدن الخصم ومراكزه الصناعية وقواعده الجوية والبحرية وخطوط مواصلاته، وأهدافه الاستراتيجية.

٥ - المعاونة فى توجيه نيران قذائف الصواريخ بعيدة المدى المنطلقة من قواعد برية وبحرية بدقة متناهية.

المجال المدنى:

١ - إمكانية تحقيق الاتصالات المرئية والمسموعة فى جميع أنحاء الكرة الأرضية.

٢ - إرشاد السفن فى المحيطات والطائرات على ارتفاع عالٍ بتوفير معاونات ملاحية بالغة فى الدقة.

٣ - توفير البيانات الدقيقة عن الأرصاد الجوية.

٤ - دراسة شكل الأرض ومجال الجاذبية (الجيوديس)، وبذلك يمكن تعيين المواقع الحقيقية للنقط المختارة على سطح الأرض وتوقيعها على الخرائط بشكل بالغ الدقة.

٥ - استخدام (مكوك الفضاء) كنظام يمكن استعادته للأرض، وينفذ كافة المهام السابقة بالإضافة لمهام أبحاث الفضاء.

٦ - استخدام المعامل المدارية لحمل أفراد لإجراء البحوث العملية فى الفضاء الخارجى، وتنفيذ التجارب الفضائية العملية والتكنولوجية وإجراء الدراسات الكونية لتجميع المعلومات العلمية، كما سيمكن فى المستقبل تطوير تلك المعامل لتكون منصات فضائية تستخدم مثل مراكز قيادة فى الفضاء لإدارة عمليات الاستطلاع على نطاق واسع باستخدام جميع الأقمار الصناعية.

وتوفر الأقمار الصناعية إمكانية التجسس[1] من الفضاء. وقد أصبحت وسيلة أساسية لجمع المعلومات لما تحققه من المزايا الآتية:

التصوير:

١ – تعتبر الكاميرا الوسيلة الوحيدة القادرة على جمع وتسجيل المعلومات التفصيلية بشكل فورى، ومن أى مكان فى العالم يتعذر الوصول إليه بالوسائل التقليدية.

٢ – مصدر معلومات دائم لعدد هائل من التفصيلات بشكل غير متحيز ويمكن تفسيره بطريقة منتظمة وتقييمه بشكل محدد، وتحويلها بشكل فورى للمحطات الأرضية.

٣ – إمكانية التسجيل الدائم والبصرى للمعلومات والتى تمكن من إجراء مقارنة تفصيلية بالصور بين المعلومات الجديدة وبين الصور السابقة حول نفس الموضوع.

التجسس الإلكترونى:

١ - إمكانية اعتراض كافة أنواع المواصلات اللاسلكية والتصنت عليها، وتحويلها فوريا إلى المحطات الأرضية.

٢ – تجميع كافة المعلومات عن المجالات الرادارية وبياناتها الفنية.

٣ – توفير إمكانية التدخل الإلكترونى فى نظم المواصلات المعادية وإعاقتها.

تقسيم المعلومات

تقسم المعلومات من وجهة نظر أجهزة المخابرات إلى ٤ أقسام ارتباطا بالقيمة والتكلفة ودرجة الصعوبة فى الحصول عليها وذلك كالآتى :

١ – معلومات المصادر العلنية :

يتم جمعها بطرق مشروعة وذات تكلفة منخفضة وتمثل تقريبًا نسبة ٤٠٪ من احتياجات أجهزة المخابرات من المعلومات حيث إنها تعد مفيدة للغاية وتصلح لبناء

---

(1) Kenneth N. Luongo, The Search for Security in space, Comell University Press, 1989. P. (i).

الأفكار وتساعد على فهم المشكلات، وإذا تم معالجتها بدقة وخبرة فإنها تؤدى إلى نتائج جيدة وبالتالى تخفض من حجم الاحتياجات من المعلومات السرية وبالتالى تكلفتها.

٢ - معلومات المصادر الخاصة (مفتوحة) :

يتم جمعها بطرق مشروعة ولكنها ذات تكلفة متوسطة وهى منتشرة بشدة فى المجال الاقتصادى والصناعى، مثل شراء معدات فنية متقدمة تكنولوجيا، ثم تتم دراستها واستخدام الهندسة العكسية فى تفهم طرق تصنيعها ونظم البرمجيات الموجودة بها hard ware / soft ware ، ثم محاولة تصنيعها بعد ذلك.

٣ - معلومات المصادر الخاصة (مغلقة) :

وهى تتطلب جهوداً خاصة للحصول عليها وتكلفة عالية حيث تتطلب أعمالا غير مشروعة متعددة مثل سرقة تصميمات لأبحاث علمية وتكنولوجية من مراكز ومعامل أبحاث ذات طبيعة حساسة .

٤ - معلومات سرية :

وهى التى لا يمكن الحصول عليها إلا باستخدام الجواسيس والأجهزة الفنية والأقمار الصناعية، وهى ذات تكلفة عالية للغاية ، إلا أن اجهزة المخابرات العالمية تسعى إليها دائما لإرتفاع درجة الوثوق فى صحتها وبالتالى الاستفادة منها (مثال : عملية التجسس الإسرائيلية على القدرات النووية الأمريكية - بولارد).

الفصل الثالث

المخابرات المضادة

Counter Intelligence

المخابرات المضادة
Counter Intelligence

تعرضنا للمخابرات كمفاهيم ونظريات عمل أساسية، ويمكننا إيجازها، بأنها مجموعة من الأنشطة تقوم بها أجهزة المخابرات للحصول على المعلومات اللازمة لإنتاج التقديرات لصناع القرار على اختلاف مستوياتهم وفى الوقت المناسب.

وقبل أن ننتقل لإيضاح الشق الثانى من الأعمال المضادة لأنشطة المخابرات نذكر المثال التالى:

حينما تقوم أجهزة المخابرات فى الدولة (أ) بشن حرب مخابرات ضد الدولة (ب) فهى فى هذه الحالة تمارس أعمال مخابرات هجومية بهدف اختراق الدولة (ب) والحصول على المعلومات بشتى الطرق والوسائل السابق ذكرها علاوة على إمكانية تنفيذ عدد من الأنشطة الهدامة داخلها بهدف التأثير السياسى أو الاقتصادى عليها.

وبالطبع سوف تقوم أجهزة المخابرات فى الدولة (ب) باتخاذ الإجراءات الوقائية ضد أجهزة المخابرات فى الدولة (أ).

وبطبيعة الحال فإن الدولتين فى هذه الحالة توجد بينهما خصومة، حالة حرب، توتر، نوايا عدوانية لكل طرف تجاه الآخر، وفى هذه الحالة فإن الإجراءات الوقائية التى تقوم بها الدولة (ب) تسمى علميًا بالمخابرات المضادة، ويمكن تعريفها بأنها مجموعة الأنشطة التى تقوم بها أجهزة المخابرات فى الدولة، لوقاية أسرار الدولة / مواطنيها / منشآتها الحساسة من اختراقها بواسطة أجهزة المخابرات الأجنبية، أى أنها أنشطة دفاعية توجّه لمنع وعرقلة جهود المخابرات الأجنبية وعدم تمكينها من تنفيذ تلك الأنشطة داخل الدولة.

ويلاحظ أيضا أن جميع أجهزة المخابرات العالمية تمارس أعمال المخابرات الهجومية والدفاعية ضد بعضها البعض وبشكل مستمر ولكن بدرجات متفاوتة ليس بالضرورة العداء فقط ولكن لأسباب عديدة، سياسية ومصالح حالية أو مستقبلية أو نمو تهديدات أو لممارسة ضغوط. فالمجال فى هذه النقطة مفتوح وليس له سقف محدد يتوقف عنده، فهى معارك دائمة ومستمرة بين الأذكياء، ولا حدود أبدًا للأفكار الذكية، كما قال

(صن تزو) الفيلسوف والقائد العسكرى الصينى فى مجال الأفكار الذكية المتجددة كل يوم «إن النوتة الموسيقية بها سلم موسيقى ثابت ومحدد إلا أننا سمعنا آلاف الألحان وسنسمع كل يوم جديدا فيها لم نسمعه من قبل».

ونظرا لأهمية وخطورة تلك الأنشطة التى تستهدف أسرار الدولة، والصعوبة الشديدة للتصدى لها حينما تكون هناك أجهزة مخابرات معادية عديدة، نظرا لوجود عداوات كثيرة ضدها، فإن بعض الدول وعلى رأسها بالطبع الولايات المتحدة الأمريكية تخصص أجهزة ضخمة للغاية للقيام بتلك الأعمال الدفاعية على سبيل المثال: مكتب التحقيقات الفيدرالى FBI

وسيتم التعرض له تفصيلا.

وتنقسم أنشطة المخابرات المضادة (الوقائية) إلى الأقسام التالية:

✪ الأمن. ✪ مقاومة الجاسوسية. ✪ مكافحة الأنشطة الهدامة.

أولاً : الأمن

هى عبارة عن مجمل الجهود والإجراءات والاحتياطات والأنشطة التى تستهدف حماية ووقاية المعلومات والأنشطة ذات الطبيعة الحساسة من أنشطة المخابرات الأجنبية.

والجدير بالذكر أن وعى وإدراك المواطنين ومدى التزامهم ومعرفتهم للإجراءات والاحتياطات تعد مرتكزات أساسية لنجاح أجهزة المخابرات العاملة فى مجال المخابرات المضادة، بل ويمكن القول بأن التعاون وثقة المواطن فى أجهزة مخابراته والالتجاء إليها عند الضرورة أو فى حالة وجود أى شك لديه تجاه موقف معين مهما كان بسيطا سوف يكون حجر الزاوية فى نجاح تلك الأجهزة

ويمكننا أن نعرف الأمن بأنه جملة الجهود التى تبذل لإخفاء السياسة القومية والمعلومات العسكرية والاقتصادية، والقرارات الدبلوماسية وغيرها من المعلومات ذات الطابع السرى الذى يؤثر على أمن وسلامة الدولة، وعدم تسرب هذه المعلومات إلى اشخاص غير مسئولين ، أى أشخاص ليس من ضمن مهامهم معرفة هذه الأسرار.

إجراءات الأمن إذن تعنى الإجراءات التى تحول دون وصول المعلومات لأشخاص غير مسئولين وضمان وصولها إلى الأشخاص المسئولين فقط والذين يجب أن يلموا بها. وبالتالى حرمان أجهزة المخابرات الاجنبية من الحصول عليها.

ثانيًا: مقاومة الجاسوسية Counter Espionnage

وهى كافة الإجراءات التى تستهدف كشف شبكات التجسس وتحديدها والتعامل معها.

ثالثًا: مكافحة الأنشطة الهدامة

وهى الإجراءات والأنشطة التى توجه لمقاومة الأنشطة المتعارضة مع العقائد السياسية / الدينية / الاجتماعية / الاقتصادية والسائدة فى الدولة، والتى تتخذ أساليب غير قانونية وغير شرعية وإرهابية وتخريبية لتنفيذ مخططاتها.

ومجال تلك الأنشطة الهدامة أصبح هو الآخر متسعًا إلى حد كبير خصوصًا فى المجال الاقتصادى حيث إن التخريب الاقتصادى من أشد الأنشطة الهدامة خطورة على الاقتصاد القومى لأى دولة من جهة ونشوء الأزمات الاقتصادية التى تهدد المواطنين بشكل مباشر من جهة أخرى، مما دعا الولايات المتحدة الأمريكية إلى إنشاء وكالة مخابرات متخصصة تابعة لوزارة الخزانة لتتبع مثل هذه الأنشطة ومقاومتها كما سيرد ذكرها تفصيلا.

ويهمنا فى هذا المجال أن نوضح أنه نظرا لاستمرار النزاعات السياسية والعسكرية والاقتصادية وشيوعها فى الكثير من بلدان العالم، فقد اتخذت حرب المخابرات شكلاً جديدًا. ونظرا لإمكاناتها وتوفر الخبرة العميقة بها، فقد قامت أجهزة المخابرات العالمية بتطوير أساليب أعمالها واستحداث مهام خاصة تسمى بالعمليات المغطاة (Covert Operations) وهى أنشطة سرية بمسميات مستحدثة وبأهداف مغلوطة أى المعلن عنها عكس الحقيقى ولكنها فى النهاية تصب فيما يسمى (العمليات القذرة) (Dirty Operations) مثل الاغتيالات للساسة والزعماء والشخصيات الهامة / تدبير الانقلابات العسكرية/ إثارة وتحريض المواطنين ضد حكوماتهم / تدبير مؤامرات داخلية تستهدف زعزعة الاستقرار/ إثارة الحروب الأهلية وتزويد كل طرف بالأسلحة والإمداد بالمعلومات لكل طرف عن الطرف الآخر وبحدود مسيطر عليها تسمح باستمرار النزاع لفترات طويلة / تهريب الأسلحة والمخدرات / شراء الذمم ونشر الفساد/ الحروب بالوكالة.

وتعد هذه الأساليب وغيرها من الأساليب السرية وغير المشروعة تحت شعار (الغاية تبرر الوسيلة) لتحقيق أهدافها.

ومع وجود كافة الترتيبات والاحتياطات التى تمكن أجهزة المخابرات القائمة بتنفيذ تلك الأساليب من التنصل التام منها، والدفع بعدم مسئولياتها ونفى علمها بأى شىء عنها، هى كلها أمور معروفة فى هذا المجال، حتى إن عمليات الكشف حول مدبرى

ومخططى وممولى الكثير من العمليات التى يتم اكتشافها تظل لفترات طويلة يكتنفها الكثير من الغموض فى كثير من عناصرها .

وأبرز حدث دليلاً على ذلك هى (أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١) التى حدثت فى أمريكا فما زال الكثير من الأسرار والتساؤلات عن : من هم الجناة الحقيقيون؟ ومن هم وراءهم؟ وأين الأدلة؟ ولماذا فشلت أجهزة المخابرات الأمريكية عن الإنذار لهذا الهجوم ؟ وأين كان هذا المجتمع الضخم لآلة المخابرات؟ كلها أسئلة سوف تظل لفترة طويلة للغاية حتى تنكشف ويعلم بها الرأى العام.

إذن هناك تحديات حقيقية، وجهود كبيرة، وتقنية فائقة لأجهزة المخابرات العاملة فى مجال المخابرات المضادة، فهى حرب بين أطراف يملك كل منها من وسائل الخداع والخبرة والمعلومات الكثير والكثير مما يجعل منها حروبا متصلة ومعقدة ويبدو من المستحيل معرفة أسرارها بأى حال.

مقاومة الإرهاب :

يقع الإرهاب على رأس قائمة الأنشطة الهدامة، وخاصة أن تلك الأعمال الإرهابية أخذت أشكالا عديدة ومتنوعة، وسوف نتعرض للسمات العامة للإرهاب كمثال هام للأنشطة التخريبية للأمن القومى لأى دولة تتعرض لتلك الضربات الإرهابية نظرًا للخطورة الشديدة على المصالح القومية، كما أن أنشطة الإرهاب قد تؤدى إلى حدوث أزمات دولية، أو تؤدى إلى تأثيرات سلبية على هيبة الدولة ومكانتها وبالتالى على سياستها الخارجية، ودرجة ثقة المجتمع الدولى فى قدراتها.

وأشكال الأعمال الإرهابية متعددة مثل:

١ - تدمير أو نسف المنشآت الهامة مثل : المرافق العمومية فى الأماكن العامة.

٢ - إلقاء المتفجرات فى أماكن تجمعات المواطنين.

٣ - الاغتيالات والاعتداءات بصورها المختلفة على الشخصيات العامة / المواطنين / السياح.

٤ - بعض أعمال السرقة المسلحة والنهب.

٥ - الخطف الجماعى واحتجاز الرهائن لتنفيذ مطالب معينة.

ومما لا شك فيه أن الحوادث الإرهابية تقع فى أجزاء عديدة فى العالم، حيث تنتشر شبكات الإرهاب الدولى فى تلك الدول، ومما زاد من خطورتها التطور الملحوظ فى أساليب

عملياتها، وحيازتها على معدات ووسائل اتصال تكنولوجية متطورة، مما دفع العديد من أجهزة المخابرات العالمية إلى تطوير تنظيماتها وإمكانياتها لكى تتمكن من التصدى بشكل حاسم لهذه الأنشطة العدائية الجديدة[1] والتى باتت تشكل خطرًا شديدًا على العالم أجمع شرقه وغربه.

أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١

تعد العملية الإرهابية التى تمت ضد الولايات المتحدة الأمريكية فى نيويورك وواشنطن، من أعنف الضربات الإرهابية التى وجهت فى العصر الحديث وبصرف النظر عن الاتهامات التى وجهت لجماعة أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة الإرهابية، أو التداعيات التى حدثت سواء بتنظيم الحملة الدولية ضد الإرهاب والحرب فى أفغانستان. إلا أنه ما زال الوقت مبكرا للكشف عن التفاصيل الدقيقة لتلك العملية والتى يمكن تسميتها بأنها ضربة إستراتيجية مغطاة ضد الولايات المتحدة الأمريكية، وسوف يرد ذكرها تفصيلا.

وبالتحليل المبدئى لتلك العملية نجد أنها تشكل علامة جديدة وحديثة ومؤشرا خطيرًا للتطور العملى والتكنولوجى الذى وصلت إليه الجماعات الإرهابية. هذا بالإضافة لعملية الجمرة الخبيثة (انثراكس) والتى تزامنت أيضًا فى نفس الأسبوع الذى حدثت فيه الضربة الأخيرة، رغم ما تمتلكه الولايات المتحدة من أكبر أجهزة المخابرات فى العالم، ومع ذلك فقد فشلت فى الإنذار عن تلك العمليات.

كل ذلك دعا الإدارة الأمريكية إلى إعادة النظر فى القوانين والتشريعات بغرض المزيد من القيود على الحريات لصيانة الأمن القومى الأمريكى، بالإضافة لإعادة تطوير أجهزة المخابرات المتنوعة وتشكيل أجهزة جديدة للأمن الداخلى لكى تستطيع أن تواجه التحديات الجديدة فى عالم ما بعد الحرب الباردة وظهور الولايات المتحدة الأمريكية كقطب وحيد فى العالم.

ولتطبيق ما تم إيضاحه فى هذه الدراسة التمهيدية للمخابرات فإن خير نموذج تطبيقى يعاون على تفهم كل أبعاد المخابرات، هو دراسة أجهزة المخابرات الأمريكية فى إطارها القانونى والمسمى بمجتمع المخابرات الأمريكية.

---

(١) يوجد ٤٣١ منظمة / جماعات مسلحة موزعين على أنحاء العالم. تقرير هيئة الرقابة على التسلح Arms Control Association.